هل تفرض التفجرات « المفاجئة » والشاملة في صفوف الشعب والجيش نفسها على كل الاطراف ، وتقوض اركان التسوية الفوقية التي فرضتها الاعتبارات الداخلية والعربية المعروفة ؟ وهل يكون مآل هذا التفجر العفوي جر البلاد ، بمبادرة من اليمين المتخوف مما يجري ، الى دوامة جديدة من الدماء والخراب ... والعبث ؟ ام هل تكون « الحركة الوطنية » في مستوى الظرف التاريخي فتتجاوز تخلفها وقصورها وتستجمع الجرأة اللازمة لفك تحالفاتها غير المبدئية مع التقليديين المسلمين المعادين للتقدم وللخروج ببرنامج وطني وعلماني وديمقراطي يوفر على البلاد سفك الدماء ويوحد الاجيال الشابة بالاخص في تيار جديد يفتح طريقا حقيقيا لمستقبل تقدمي للبنان ؟ ان ذلك جانب من التساؤلات الكبرى المطروحة في اللحظات الراهنة ، وسيتوقف على كيفية الاجابة مستقبل البلد ، ومعه بالطبع مصير الحركة الوطنية الحالية .

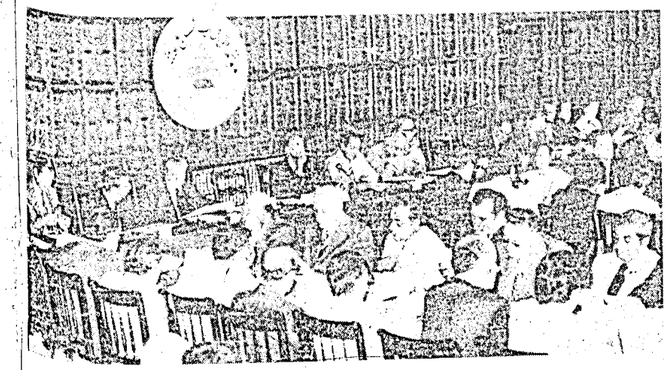

الكتائب : التشكيك بسوريا

انهيار الدولة مستمر

الحركة الوطنية أمام مفترق الطرق

بقلم : مصطفى مراد

كان ابرز ما استجد في الوضع السياسي في لبنان ، هذا الاسبوع ، التحركات العنيفة وغير المتوقعة للقوى التي حاولت التسوية السياسية اخراجها من حيز الفعل والتأثير . ورغم مظاهر هدوء الوضع ، وانحدار الصراع الى مستوى تقليدي لا يتجاوز اطار الحكومات والحقائب ، فان القوى التي اطلقتها الازمة الى السطح ما زالت تخرق الاتفاقات المبرمة وتفرض وجودها في ساحة الصراع السياسي .

ومن فشل مخطط فرض الامن على حساب النضال الجماهيري والمقاومة الفلسطينية ، الى اشتباكات عكار وتمرد الجيش في صربا وجونية ، والى انضمام قوات شقيف ارنون الى جيش لبنان العربي ، فان المجرى العام لاحداث الايام الاخيرة يطرح ، جديا ، مصير التسوية السياسية واحتمالات لجوء اليمين مجددا الى تفجير الوضع كوسيلة للحؤول دون المزيد من الانهيار في مواقع السلطة . وهذا ما دفع الاستاذ كمال جنبلاط للقول انه يعتبر « ان كل الاحتمالات واردة ، وانه صار مطلوبا التصرف على هذا الاساس » .

« المفاجآت » المتوقعة !

والواقع ان ما يحدث الان لا ينبغي ان يفاجىء احدا . ان مستوى التعبئة الذي سبق الاحداث ، ثم الثمن الباهظ جدا من ضحاياها البشرية ، والتفسخات العميقة التي احدثها القتال على كل جوانب المجتمع اللبناني ، ان ذلك كله اضخم كثيرا من تسوية تنتهي بتكريس الطائفية وسيادة زعماء العشائر والطوائف . وبالنسبة للجماهير في كلا المعسكرين فان خيبة الامل والاشمئزاز العميق كانت عنوان ردة الفعل على المساومات السياسية الرخيصة التي اعقبت وقف اطلاق النار . لقد دفع الشعب ثمنا بشريا وماديا يعادل الثمن الذي قد تدفعه الثورات الكبرى . ومع ذلك فان جثث الضحايا تجير لاقتسام حقائب الوزارات والمغانم ، وكأن الطبقة الحاكمة – بموالاتها ومعارضتها – لا تملك ان تستشعر هول المأساة الرهيبة ...

اليسار والشارع : من يمتلك المبادرة ؟

ومرة اخرى يطرح التفجر العام في الشارع وفي صفوف الجيش مسألة مدى التطابق بين « الحركة الوطنية » والجماهير . وفي حين يبدو ان الحركة الوطنية تميل لحصر معارضتها ضمن اطار التسوية التي افرزتها المبادرة السورية ، فان الجماهير تتخذ مواقفها المستقلة التي لا تعترف بأي من المبررات المتداولة في صفوف الاحزاب . وهكذا تعود الحركة الجماهيرية الى انتزاع المبادرة والى دفع الاحزاب والقوى لاعادة تكييف مواقفها و « معارضتها » في ضوء الامر الواقع الشعبي المستجد ..

وتكرارا ، فان هذه العلاقة الغريبة تؤكد مجددا على اهمية استقلالية الحركة الوطنية في لبنان عن اية تبعية خارجية لن تكون ، في الظروف الراهنة ، سوى على حساب التقدم والتغيير في لبنان . ان الازمة اللبنانية تتجاوز في مغازيها وابعادها ، بل وتتصادم ، مع الخطوط الوسطية السائدة الان في السياسات العربية « الرسمية » . وهي تتناقض مباشرة مع منطق الحفاظ على الامر الواقع – الاجتماعي والسياسي – الامبريالي في المناطق المحيطة بفلسطين .

ماذا عن جماهير اليمين ؟

واذا كنا نتحدث عن اشمئزاز الجماهير من الحلول المطروحة « وفرقها » للاتفاقات ، فان ذلك ينطبق بالدرجة نفسها على الجماهير المسيحية التي قاتلت خلف قيادة اليمين الفاشي في الاشهر الاخيرة . وينبغي لليسار بالدرجة الاولى ان يتنبه الى ان جماهير المعسكر الاخر ليست الجماهير التقليدية التي كانت تعترض مسيرة التقدم في الاربعينات والخمسينات .

ان جماهير اليمين المسيحي ليست جماهير الريف المتخلفة والتقليدية وانما شباب البرجوازية الصغيرة المدينية التي ارتدت من مواقع المعارضة « الحديثة » وشبه البسارية الى مواقع الفاشية . ومثل هذه الجماهير بعيدة عن الانصياع الطوعي لقيادات الاقطاع السياسي والطائفي ، ورافضة لعودة التقليديين الى الحكم . وهي ، بالمناسبة ، لا تعلق اهمية تذكر على الايديولوجيات الغيبية من نوع الانتماء الفينيقي وسواها ... ان هذا الطراز من جماهير اليمين هو الاكثر فعالية ، وهو يتطلب من قوى التغيير لغة جديدة ومواقف اكثر جذرية . وهو يتطلب ، بالتأكيد ، يسارا « جديدا » بكل معنى الكلمة لا يسارا عجوزا « مرقعا » ومساوما على صورة النظام ومثاله !

ان حالة الانهيار الشامل في اوساط النظام مستمرة اذا . ولا يبدو ان باستطاعة القوى التقليدية لجم التطورات السريعة والعنيفة التي تستجد في كل ساعة . ولكن هذا الانفلات بالذات يهدد بانهيار التسوية التي قامت على اساس قدرة اطراف معينة على التحكم بزمام الامور . وقد كان حزب الكتائب واضحا في بيانه يوم الاثنين الماضي حين اعلن ان « لا بديل للدولة غير الدولة ، وعبثا نلتمس الخلاص من غير يدها هي ، وعبثا نعتمد على غيرها من دول واحزاب ومنظمات وفصائل وجيوش ... » ، مما يشكل « تشكيكا » صريحا بقدرة سوريا وبوعودها . وفي هذه الحالة فمن المحتمل ان تلجأ احزاب اليمين الى تفجير الصراع المسلح مجددا لاستعادة المبادرة من جهة ولممارسة الضغوط على السوريين لكي يضغط هؤلاء بدورهم على «الحركة الوطنية» ويضطرونها للاذعان للتسوية نهائيا .

ولا يستبعد في هذه الحال ان يطور اليمين اي صراع جديد الى « جولة » اخرى من الجولات التي عرفها لبنان خلال عشرة اشهر . ولا يملك المرء هنا سوى ان يتشاءم من التأكيدات المصرية الرسمية بأن ازمة لبنان ما زالت « في عزها » .

المطلوب : برنامج يساري جديد

تجاه هذه الاحتمالات الخطرة فان المطلوب من اليسار ان « يرتفع » الى مستوى الظرف التاريخي وان ينسجم مع سياق الحركة الشعبية العارمة ، فينتزع المبادرة بطرح برنامج وطني وعلماني وديمقراطي يتجاوز العراقيل والمعارضات التقليدية في الجانبين الاسلامي والمسيحي (وفي صفوف القيادات الاسلامية قبل سواها) ويشكل نقطة التقاء الاجيال الشابة والطبقات الشعبية من كل الطوائف .

ومطلوب من اليسار ان يكون ، على الاقل ، في مستوى الطرح الليبرالي الذي ينادي علنا بالعلمنة الكاملة للدولة وللمجتمع ، وخاصة على صعيد الاحوال الشخصية ، في حين يوافق اليسار (الذي يمثل مبدئيا ذروة العلمانية !) على التستر على واقعة ان الزعماء المسلمين التقليديين شكلوا المعارضة الرئيسية لاتجاه العلمنة الكاملة (في هيئة الحوار بالاخص) ، بل ويتواطأ فيطر هذا المطلب الحيوي الذي يشكل الاساس الزا الاول لاعادة توحيد صفوف الشعب ، من برنا الاصلاحي .

وعلى اليسار ايضا ان يكافح النزعات الطائ والنزعات الانتهازية – الطائفية في صفوفه ، بين الجماهير الوطنية ، وان يدين اعمال الخ والقتل و « يقمعها » سواء كانت عفوية ام مد من بعض الاطراف المشبوهة . وعليه ان يص الجماهير بأن كل انجراف في الثأر الطائفي سي الى تعميق محنتها وجعلها من غير منفذ .

ان ذلك كله يتطلب من الحرك الوطنية الراهنة ان تتجاوز نفسها وان « تنقذ ذاتها » بالممارسة العمل الجديدة . وتلك مهمة صعبة وشاقة لكن الامر « يستأهل » . فالرهان يتع بمستقبل البلد (وطبعا ، بمستقب الحركة الوطنية نفسها) . والخيـ هو بين الانحدار الى حمأة البربري مجددا ، او قيادة المجتمع اللبناني خار المسار المستمر منذ العشرينات .. ونحو التغيير الحقيقي .

بيان من حزب العمل الاشتراكي العربي حول اغتيال الرفيق غسان حرفوش

لقد تعرضت منظمة حزب العمل الاشتراكي العربي في بعقلين الى اعتداء صارخ ذهب ضحيته الرفيق الشهيد غسان حرفوش ، مسؤول منطقة الحزب هناك . ولقد كان الشهيد مثالا للانضباط والسلوك السليم ، ارتبط بشعبه وقضية تحريره من سيطرة الرجعيين العملاء ونظام حكمهم الفاسد .

لقد استشهد رفيقنا البطل ضحية العصبية الحزبية المنغلقة في الشوف ، ضحية تخلف وضيق افق العقلية التي ابت على رفيقنا الشهيد ان يقوم بواجبه الاجتماعي والانساني وحاولت التصدي له اثناء تقديمه اكليلا من الزهور باسم الحزب بمناسبة وفاة احد الاصدقاء ، معلنة ان لا عمل في بعقلين الا تحت رايتها ، وانها لن تسمح بتواجد اي حزب غير حزبها .

وكان من الطبيعي ان لا يرضخ رفيقنا الشهيد لهذا المنطق الاعوج ، وان يحاول تدارك اي حادث لا يستفيد منه سوى العدو ، غير ان عناصر السوء لم يرقها المنطق السليم الهادىء ، فاستمرت في غيها وعنجهيتها واندفع المجرم سهيل بدور يطلق رصاصاته الجبانية الى صدر رفيقنا الماثل .. سهيل بدور ، احد مسؤولي الحزب التقدمي الاشتراكي في بعقلين توهم انه يستطيع ان يحسم بالرصاص ما عجز عن حسمه بالمنطق والحوار ..

ايها الوطنيون .. ايها التقدميون

اننا نطالب الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية بأن تستنكر هذه الجريمة . ليس لانها اغتيال بين القوى الوطنية والتقدمية فحسب ، وانما لانها تعكس نهجا متناقضا ومنافيا لابسط المفاهيم الوطنية والديمقراطية ، وحق ابناء شعبنا في الانتماء للحزب الذي يرون فيه وسيلة قادرة على التعبير عن آرائهم ومشاعرهم وطموحهم . ان نهج ارهاب الناس بقوة الحديد والنار لا يمكن ان يكون نهجا وطنيا وتقدميا وليس من شيم التقدميين والاشتراكيين بأي حال من الاحوال .

ان بعقلين ، مثل غيرها من المناطق اللبنانية ، تتعايش فيها طبقات شعبنا وفئاته المختلفة ، تعايشا محكوما بتباين الاراء والميول ، واختلافها بالضرورة . ذلك ان تباين ظروف الحياة التي تعيشها هذه الطبقات والفئات في مجتمعنا ، تنعكس وتتجسد في التعبير عنها بصورة عامة ، وفي الاختيار السياسي عند الانتساب للاحزاب السياسية على وجه الخصوص .

ومن هنا يتحتم على كل حزب وطني وتقدمي حقا ، ان يجسد ايمانه بحق ابناء الشعب في الاختيار السياسي الحزبي ، وفهمه للديمقراطية ، بعدم لجوء اي من الاحزاب الوطنية والتقدمية لاحتكار العمل الوطني والتقدمي وارهاب الناس بوسيلة الاغتيال السياسي لمنعهم من الانتساب للاحزاب الاخرى .

ايها الوطنيون .. ايها التقدميون

ان المجرم سهيل بدور قد ارتكب جريمته ، تحت تأثير التخلف الفاطحي ، واسير عقلية التسلط الحزبي الاقليمي ، الذي يملأ رؤوس هذه العناصر بالاوهام الى حد يجعلها تظن انها قادرة ان تتحكم بعقول البشر وتوقف حركة التاريخ اذ ان رفيقنا الشهيد قد تلقى ، مع بعض الرفاق الاخرين ، تهديدات عديدة سابقة تطالبه بالتخلي عن حزب العمل الاشتراكي العربي . ومن المؤسف ان يشارك بعض القياديين في الحزب التقدمي الاشتراكي في عمليات التهديد قبل وقوع الجريمة بوقت قصير .

ان هذه التربية الحزبية وهذا السلوك يتنافى مع كل المفاهيم والمبادىء التي ينادي بها رئيس الحزب التقدمي ، خاصة وان حزبنا لا ينافس على كراسي البرلمان ، ولا يصوت ، اذا ما قرر التصويت الا للمرشحين الوطنيين .

لقد تريثنا طيلة هذه الفترة لكي نتمكن من تطويق الحادث ومنع تجاوز مضاعفاته حدود الاقتصاص من المجرم القاتل ، حفاظا على سلامة اهل بعقلين ووحدة تعايشهم ، اما اليوم وقد نجحنا بتهدئة الخواطر ، فاننا نطالب قيادة الحزب التقدمي الاشتراكي الاقتصاص من المجرم ومعاقبة شركائه الذين دبروا الامر وتهربب القاتل . ليس لاننا عاجزون عن القيام بذلك ، بل لان هذه هي مهمة قيادة الحزب التقدمي لكي نبرهن عن استنكارها للجريمة ورفضها لهذه الاساليب الفاشية .

الخلود للشهداء الذين ينيرون بدمائهم طريق النضال لجماهير الكادحة

والخزي والعار للاقزام المجرمين .

حزب العمل الاشتراكي العربي

لبنان

٤-٢-١٩٧٢